مساهمة الرموز الثقافية للقبيلة في الحفاظ على الهوية الجزائرية خلال المرحلة الاستعمارية.

The contribution of the cultural symbols of the tribe to the preservation of the Algerian identity during the colonial period.

مرابطي رفيقة *
جامعة أحمد دراية–أدرار
مخبر المخطوطات الجزائرية في إفريقيا
rafika.81@univ-adrar.edu.dz

تاريخ الاستلام: 2022/09/03 تاريخ القبول 2022/10/07 تاريخ النشر 2022/10/13

ملخص:

لم تكن القبيلة خلال الفترة الاستعمارية للجزائر مجرد فضاء جغرافي يضم مجموعة من الأفراد تجمعهم روابط مختلفة فحسب، بل شكلت الوعاء الذي حفظ للمجتمع سيرورته التاريخية وهويته الثقافية، نتيجة تكوينها القائم على الانتماء إلى الدين والتاريخ المشترك، وتطورها ضمن مجتمع تحكمه مقومات الوحدة والتماثل، ونظرا لبقائها بعيدة عن التأثيرات الثقافية للسياسة الاستعمارية خاصة في الأرياف، ظلت قوية التماسك بموروثها المحلي الذي طبع سلطتها المترسخة عبر الأجيال، وهو ما جعلها تقاوم كل ما هو دخيل عنها مهما كانت قوته. والإشكالية هنا تتمحور حول مدى أهمية القبيلة كوعاء اجتماعي حافظ للرموز الثقافية المكونة للهوية الجزائرية خلال مرحلة الاستعمار الفرنسي، لذلك نهدف إلى إبراز الخصوصيات التي ميزت المجتمع الجزائري ضمن فضاءه القبلي؟ وكيف استطاعت القبيلة المحافظة على المقومات الثقافية المشكلة للهوية الوطنية؟

* المؤلف المراسل

الكلمات المفتاحية: الهوية الثقافية؛ القبيلة؛ الاستعمار الفرنسي؛ الذاكرة الوطنية؛ اللغة الأمازيغية؛ الدين الإسلامي.

Abstract:

During the colonial period of Algeria, the tribe was not just a geographical space comprising a group of individuals brought together by different ties, but it was the container that preserved the society's historical process and cultural identity, as a result of its formation based on belonging to a religion and a common history. And its development within a society governed by the elements of unity and symmetry, and due to its staying away from the cultural influences of the colonial policy, especially in the countryside, it remained strongly cohesive with its local heritage, which marked its entrenched authority through generations, which made it resist everything that was foreign to it, no matter how strong it was. The problem here revolves around the extent of the importance of the tribe as a social container that preserves the cultural symbols that make up the Algerian identity during the French colonial period, so we aim to highlight the peculiarities that characterized Algerian society within its tribal space? And how was the tribe able to preserve the cultural components that formed the Algerian identity?

key words*:* cultural identity; the tribe; French colonialism; national memory; Amazight Language; The Islamic Religion.

مقدّمة:

كانت القبيلة هي الحاضنة الاجتماعية للأفراد منذ القدم، فقد كان الانتماء الفردي إليها، والذوبان في روح الجماعة داخلها، والالتزام بقوانينها أكثر أهمية من تحقيق الهوية الشخصية، والاستقلالية الذاتية، والمجتمع الجزائري من المجتمعات العربية التي شكل التنظيم القبلي خصوصية طبعت سلطته وظلت تلازم تكوينه عبر التاريخ، ما منحه قوة التماسك بفضل الموروث المحلي والرموز الثقافية للقبيلة، التي استطاعت المحافظة على هيكلها التنظيمي، وخصوصية هويتها الثقافية رغم محاولات السياسة الاستعمارية القضاء عليها وتشتيتها.

والإشكالية التي تطرح نفسها هنا عن: مدى أهمية القبيلة كوعاء اجتماعي حافظ للرموز الثقافية المكونة للهوية الجزائرية خلال الفترة الاستعمارية، لذلك نهدف إلى البحث

بموضوعية لإبراز الخصوصيات التي ميزت المجتمع الجزائري ضمن فضاءه القبلي، ومعرفة إلى أي مدى استطاعت القبيلة المحافظة على المقومات الثقافية المشكلة للهوية الجزائرية.

وبالنسبة للمنهج المعتمد فإن طبيعة الموضوع تفرض توظيف المنهج التاريخي الوصفي لتتبع خلفيته التاريخية، مع المزاوجة بالمنهج التحليلي لدراسة المشكلة بأسلوب متعمق.

المبحث الأول:

الخصوصية التاريخية والاثنوجرافية للمجتمع الجزائري في الفضاءات القبلية

المطلب الأول: النظام القبلي في الجزائر.

ساهمت الظروف الحياتية القاسية في انتقال المجتمع المغاربي منذ عصور قديمة، من شكل الأسرة إلى صورة أوسع تعرف بالقبيلة[1] ثم إلى العشيرة أو ما أصبح يطلق عليه الكونفيدراليات وهو اتحاد عدة قبائل، ومن المعلوم أن الوطن الجزائري عمرته سلالات قديمة، وتراوحت عليه أعراق عديدة، لكن الجنس الذي ارتبط بهذا الوطن هو البربر أو الأمازيغ، وقد كان نظام البربر قبليا، إذ كان نهجهم الاجتماعي والمعاشي يتبع نظاما عشائريا، مترابط الأواصر بعامل القرابة الدموية، ولعل من أعرق البطون التي تعود إليها تفرعات السلالة البربرية في الجزائر، قبيلة زناتة التي أدركت الإسلام ولعبت مع صنهاجة وكتامة دورا في بناء حضارته ما تمخض عنه إنجازات كبرى سياسيا وثقافيا ومدنيا.[2]

وكانت القبيلة هي الخلية الاجتماعية والسياسية والاقتصادية ذات الفعالية القوية في مصير البلاد، وشكلت وحدة متماسكة يجمعها جد واحد وتراث ومصالح مشتركة، تعيش حياة السلم وتعلن الحرب كوحدة موحدة ذات أهداف خاصة، ولها ذكريات مكتوبة وأخرى شفوية وأساطير، وأحساب وأنساب يحفظها الصغير والكبير، والفرد عضو ثابت فيها وغير مستقل عنها ليس له أن يفعل أو يقول شيئا خارجا عن سلطة القبيلة وسلطة شيخها الذي هو في مقام الأب الأكبر للجميع.[3]

وقد وصف "وليام شالر" المجتمع القبلي بأنهم بدو رحل يتركزون في السهول ويسكنون الخيام ودائمي التغيير لمحل إقامتهم تبعا للفصول، ويتمتعون بفضائل أجدادهم، ويتحدثون

العربية ويعتنقون الإسلام، وملامحهم وأخلاقهم وعاداتهم تشبه العرب الآسيويين، لكن فيما عدى دفع الضرائب للحكومة، فهم شبه مستقلين ويخضعون لسلطة شيوخهم ولقوانينهم الخاصة، وأكد أن الروح الخلاقة والشخصية المتنوعة الجوانب التي ميزت المجتمع الجزائري، تسمح له بلوغ درجات عالية من الحضارة، إذا ما واتته الظروف.[4]

وما يلاحظ من خلال ما كتبه "وليام شالر" عن المجتمع الجزائري في الأرياف أنه لم يتغير كثيرا إذا ما قارناه مع ما هو موجود خلال فترة الاحتلال الفرنسي للجزائر، حيث استمر الطابع القبلي والعشائري. والجمود الفكري، وغياب التطور المادي داخل القبيلة والأعراش، من عهد ابن خلدون في القرن 14م، مرورا بالعهدين العثماني والفرنسي إلى غاية سنة 1954م، أي بقاء حوالي 90% من سكان الأرياف على حالهم، ولم يبدأ المستوى الفكري الثقافي في الارتقاء إلا مع نهاية الحرب العالمية الأولى، بواسطة الأحزاب السياسية وجمعية العلماء التي بدأت منذ 1935م توسع نشاطها نحو الأرياف[5].

لكن بدأت فرنسا تشتيت بنية العشائر والقبائل في الأرياف، وكانت بصورة أسرع في القطاع الوهراني نتيجة توطن الكولون فيها، وإدراك فرنسا أثناء المقاومة الشعبية أن الرابطة القبلية إن ظلت تؤازرها القيم الروحية فإنها ستقضي على الوجود الاستعماري، فالمجتمع الجزائري لم تكن تتحكم فيه أي تنظيمات أخرى خارج إطار القبيلة والزاوية، ما جعله منظما ومتماسكا.[6] وما زاد من تماسكه هو التمازج الاجتماعي بين العرب والأمازيغ الذي أعطى للمجتمعات المغاربية– بما فيها الجزائر–خصوصية إثنوغرافية ميزته عن المجتمعات العربية.[7]

بالإضافة إلى أن القبائلي متمسك جدا بانتمائه لأرضه وقبيلته. فوليام شالر أكد أن القناصل يجدون صعوبة في الاحتفاظ بواحد منهم أكثر من ستة أشهر، دون أن يراودهم الحنين لرؤية جبالهم مخاطرين بفقدان مورد رزقهم، وهذا الشعور بحب الوطن يستحوذ على نفوس القبائل كلية، ويشير إلى ما حدث له ذات مرة أين فقد جميع خدمه الذين تخلوا عنه فجأة بحجة أن بلدهم تخوض غمار الحرب، وهو ما يدعوهم لحمل السلاح.[8]

ورغم فعالية بعض المدن ونشاط أهلها من الحضر في التجارة والحرف سنة 1830م، إلا أن الجزائر بقيت تعيش على تراث الريف والقبيلة[9]، فسكان المجتمع القبلي على الرغم مما كانوا يتمتعون به من ذكاء وسلوك اجتماعي يتسم بالرقة واللين، إلا أنه لم يكن لديهم استعداد طبيعي لممارسة التجارة كالعرب[10].

و قد كانت الجزائر تضم سنة 1830م حوالي 516 من التحالفات الأوسع من القبائل، تحت أسماء مختلفة تارة مخازنية وتارة رعايا، وتارة حلفاء، فالقبيلة لا تعيش منعزلة، لأن قانون البقاء كان يفرض عليها التحالف والاحتماء بآخرين عند الدخول في حروب مع السلطة أحيانا أو ضدها أحيانا أخرى، وبالمقارنة بأرقام تلك المجموعات نجد حسب استنتاج "لويس رين" أن إقليم قسنطينة كان فيه أكبر عدد يقدر بـ 224 مجموعة،و157 في إقليم وهران، و62 في إقليم التيطري، و73 في دار السلطان[11].

بعد انتزاع الفرنسيين للأراضي من القبيلة أنشأوا على أنقاذها نظام العائلة بعد سلسلة دراسات على المجتمع الجزائري من عدة جوانب كالتعليم، والزوايا، والقبيلة، والقضاء، والأسرة ونحوها، ورغم اختلافهم في تعريف القبيلة إلا أنهم أجمعوا على أهميتها في البنية الاجتماعية، خاصة رؤساء المكاتب العربية لأنهم كانوا الأقرب ميدانيا من حياة القبيلة، نظرا لاتصالهم اليومي بها، وبناءًا على دراساتهم فإن القبيلة تشكل وحدة متماسكة، وهي خلية أبوية السلطة ذات أصل واحد[12].

ولكن بعد أكثر من جيل ظهرت نظريات اجتماعية جديدة بعضها اعتبر القبيلة خلية اصطناعية ولا تشكل وحدة متماسكة، والبعض الآخر لم يركز على تماسكها بقدر ما ركز على دلالتها الرمزية إلى الثروة المشتركة بين أفرادها فهي تمثل مجموعة من العادات والأعراف التي تساهم في تكوين الفرد وتدمجه بسرعة في بوثقتها، وليس هناك قيمة معترف بها للمبادرة الفردية، فكل شخص في القبيلة عليه أن يلتزم بطقوسها ومبادئها[13] والاستقلال هو الأمر الوحيد الذي يشغل أذهان المجتمع القبلي وهو غاية وجودهم ومتى نالوا الاستقلال يعيشون بكل فرح وسرور مع الفقر في مناخ شديد القسوة [14]. لذلك نجد

أن أغلب القبائل ثارت ضد الاحتلال الفرنسي للجزائر، بعد أن مس هذا الأخير بسيادتها واستقلالها على أراضيها التي كانت مصدر رزقها.

وإذا ما توسعنا إلى الجنوب الجزائري نجد قبائل التوارق. الذين ذكرهم الرحالة الموثوق بهم مثل "هورنمان"و "ليون"، فأوردوا أنهم شعب كثير العدد، شجاع ميال إلى الحرب، وسلوكاتهم وعاداتهم مستقلة ومختلفة عن باقي الشعوب، كما أطلقوا عليهم تسمية "الشعب العظيم" [15].

من هنا نستنتج أن الفرد داخل النظام القبلي يعيش حياته تبعا لضوابط تمثل المرجعية الضاغطة عليه، محاطا بمنظومة من الأعراف أو الأصول التي تحظى بالاعتراف الجماعي المشترك والاحترام العام والتي لا يمكنه تجاوزها، كونها من تراكمات التاريخ وخبرات الأجيال السابقة، وهو ما يضمن للمجتمع القبلي استقراره ويحفظ له ذاته.

المطلب الثاني: دور شيوخ القبائل في مقاومة الاستعمار الفرنسي

تتشكل البنية الاجتماعية في الجزائر أساسا من القبيلة والعرش، فالمجتمع الجزائري بعنصريه العربي والأمازيغي كان تنظيمه منذ القدم قبليا، ويخضع لسلطة تقليدية " شيخ القبيلة " أو لسلطة عقلية مثالية "المرابط"[16]، وكانت حياة البساطة المدعومة بالأخلاق والدين والأنفة دون الرضوخ للآخر هي السمات المميزة للحياة القبلية، وهو ما كانت ترى فيه فرنسا خطرا عليها لذلك عملت بشتى الطرق والوسائل والسياسات الاستعمارية لتفتيت هذا التلاحم القبلي، كإصدارها لجملة من القوانين التي تهدف إلى نزع الملكية الجماعية، التي كانت بحوزة القبائل والأعراش لتفكيك بنية المجتمع الجزائري[17].

ومما لا ريب فيه أن مجتمع القبيلة هو مجتمع الذكورة والفحولة، فالتوازنات تستند فيه على القوة والمنازعة[18]. لذلك كان لزاما على من يترأس القبيلة أن يكون على حس كبير من المسؤولية والقوة التي تأهله للقيام بدوره كشيخ لها، ومحافظ على استمراريتها. ويستمد القائد أو المرابط أو شيخ القبيلة شرعية سلطته من العقل والحكمة والسلوك الحسن دينيا ودنيويا، ورضا الناس عنه، أما المرابط فيستمدها من الشرف الأسري المتوارث[19]. فلا يخلو

أي عرش من زاوية يكون مقدمها هو الحاكم الفعلي للعرش، ولا توجد أي منافسة على السلطة لأنها خالية من أي امتياز ماعدا سلطة القايد في بعض المناطق[20].

لقد أربكت الثورات الشعبية –التي قادها شيوخ القبائل والزوايا–السلطة الاستعمارية في العشرين سنة الأولى من الاحتلال، لذا تميزت سياستها بالتذبذب، ولم يجد جنرالات فرنسا أي طريقة مثلى لإحكام قبضتهم على الجزائر، لهذا لجؤوا في الأخير إلى عزل القبائل عن زعمائهم وقضاتهم الذين يحضون بمكانة مرموقة في أوساط القبائل[21].

لذلك وظف الاستعمار المكاتب العربية التي أنشأت في كل المدن والقرى والأرياف الجزائرية لغرض التجسس على الأهالي والتفرقة بينهم [22]، نظرا لطبيعة المجتمع الجزائري المنغلق على نفسه داخل نظامه القبلي والذي لم يستطع الاحتلال الدخول إليه لطبيعته المحافظة، لذا لجأ الى فكرة المكاتب العربية. وهو ما ذهب إليه صالح فركوس في إشارته إلى توظيف المكاتب العربية من أجل إخضاع القبائل للسلطة الاستعمارية ومراقبة تحركاتها وحراسة المشبوهين منهم إضافة إلى مراقبة الزوايا والقادة الروحيين[23].

لقد كشفت وقائع تاريخية قديمة وحديثة أن روح القتال لم تفارق الجزائريين بسبب تعرض وطنهم للانتهاكات المستمرة، لا لهوان شأن الجزائريين ولكن لامتياز وطنهم بالموقع والخيرات، وترسخ هذه الروح القتالية التي ميزتهم ولابستهم حتى أوشكت أن تكون سجية تعود أساسا إلى طبيعة بداوتهم وعدم توغلهم في المدينة [24]. وهو ما جعل فرنسا توظف سياستها الاستعمارية لتفكيك هذا المجتمع القبلي الذي حافظ على روحه القتالية ضد الاحتلال الفرنسي خاصة بعد تجدد المقاومات الشعبية تحت قيادة زعامات قبلية واتحاد عدة قبائل مع بعضها البعض، وترسخ هذه الروح القتالية راجع إلى طبيعة البداوة التي أكد الاجتماعيون أنها تغذ الطبع وتكسبه خصائص الجفاء وتوطنه على الاحتمال والمقاحمة، ولما كان حظ القطر الجزائري من البداوة ثابتا، فقد ترسخ وازع المغالبة والقتال في روح الأهالي.

ومن المعلوم أن حركة التاريخ والوقائع الاجتماعية ظلت بشمال إفريقيا عرضة للتقلبات الأمر الذي جعل إنسان هذا الشمال بدوره يظل عرضة للنكسات ما انعكس سلبا على التراكم الحضاري، إذ ظل ينهدر من خلال تداعيات التغلب وتصارع العصبية وما يسببه ذلك من إخلاء للعمارة وانزياح عبر الفضاء [25].

المبحث الثاني:

دور الرموز الثقافية للقبيلة في الحفاظ على الهوية

المطلب الأول: اللغة الأمازيغية

إن الثقافة هي البوثقة الجماعية التي تستحق كل الاهتمام، فهي المظهر الذي تتشكل فيه الشخصية في أبعادها الثلاث: الوجدان والفكر والنزعة، وكل إهمال يقع على مستوى هذه الأبعاد، يغدو بمثابة المشكلة التي لا يسلم الوطن من تأثيراتها، لاسيما بالقياس لوطن يعاني من عسر استرجاع الهوية بعد كل ما ناله على يد الاستعمار وتسميماته الخطيرة[26] خصوصا ما تعلق بمسألة اللغة الأمازيغية التي تتكلمها أغلب المجتمعات القبلية في الجزائر.

و المؤكد أن للأمازيغ لغة يكتوبنها بأبجدية "تيفيناغ" أو "تفنغ" التي إنحدرت عن أبجدية لوبية قديمة وهي مازالت مستعملة إلى يومنا هذا وسط التارقيين، وتتميز بلغتها الصامتة "Consonnantique" وحروفها ليست كاملة حتى الآن [27].

وعلى الرغم من الدخول الروماني للمنطقة المغاربية، وإنشاءه لمدارس تعلم اللغة اللاتينية والنشاط الحيوي الذي شهدته مدن إفريقية ونوميديا الرومانية نتيجة حلقات التعليم والخطابة والحوارات، إلا أن سكان الأرياف ظلوا يجهلون اللغة الرومانية، وبقوا يتعاملون فيما بينهم باللغة الأمازيغية غير المكتوبة [28]، التي وحسب كتابات الدكتور "شاو" هي لغة قديمة وأصيلة يتحدثها سكان بلاد البربر وتدعى "الشاوية"، وهي "لغة القبائل" التي تسكن سلاسل جبال الأطلس بالجزائر، ولغة البدو الرحل في الصحراء، ويتفاهم بها سكان جميع المناطق، رغم بعض الاختلافات مما يدل على أصالتها [29].

حتى أن أندري جوليان يميل إلى الاعتقاد أن الأمازيغي يبدع في مجال الخطابة والارتجال أكثر من إبداعه في الأعمال الكتابية[30]، وهذا لا يعني أن الأمازيغ لم يدونوا بلغتهم، ففي العهد الإسلامي ظهرت المؤلفات باللغة الأمازيغية، وإذا ما راجع الباحثون موضوع اللغة المستعملة ضمن الكتل الضخمة من القبائل الأمازيغية، نجد أن بعض المختصين حصروا اللهجات الأمازيغية الكبرى ضمن ثلاث مجموعات هي بمثابة اللهجات الأساسية المتمثلة في: الزناتية، المصمودية، الصنهاجية[31]، وقد خصص الحسن الوزان في كتابه وصف إفريقيا بعض الفقرات أشار فيها إلى كتابة سكان شمال إفريقيا ولغتهم ولهجاتهم، حيث أشار فيها إلى أن الشعوب الخمسة المنقسمة إلى مئات السلالات وآلاف المساكن " الأسر " تستعمل لغة واحدة يطلق عليها إسم " أوال أمازيغ" أي الكلام النبيل، وهو ما يعني أن المؤرخين في تلك العصور لم يطلعوا على الكتابة التي كانت نساء التوارق يكتبن بها ولم يهتم رجال التوارق بتعلم خط التيفيناغ، بالقدر الذي اعتنت به المرأة وحافظت عليه من الضياع طيلة قرون طويلة[32].

وفي الجنوب الجزائري يشير وليام شالر الطوارق يفتخرون بقدم لغتهم، وعلى الرغم من أنهم لا يفهمون اللغة العربية ولا يعرفون شيئا عن الإسلام إلا بعض العبادات، إلا أنهم متمسكون به، وقد أكد شالر أن التوارق شعب أصيل لم تتعرض أراضيه للغزو، ما جعله يحتفظ بلغته القديمة ذات الصلة الوثيقة بلغة القبائل والشاوية، ما يفضي إلى أن هذه اللغة من أقدم اللغات في العالم[33]، و قد عاشت على الرغم من الظروف التي مرت بها من الاحتلال الروماني والوندالي ، إلى التواجد العثماني ثم الاستعمار الفرنسي.

كما يشير حسن الوزان أن عدم وصول أي شيء مكتوب في وقتنا الحاضر عن أوضاع القبائل الأمازيغية، لا يعني أنهم لم يكتبوا، بل يمكن أن يكون السبب يرجع لتعرضه إلى الضياع والتلف، بعد ما مرت به المنطقة من إحتلالات، أما في الفترة التي سبقت الغزو الفرنسي فلم يحدث أن قمعت الأمازيغية أو حصل إعتراض عليها، ولعل قصورها

ومحدوديتها التعبيرية هي من أبرز مشكلاتها والذي أدى إلى اجتناب العمل بها في الميادين العلمية والإدارية[34] .لكن اذا كان هذا صحيحا وكانت هذه اللغة محدودة التعبير فكيف استعملها سكان المنطقة في المجادلة والخطابة خلال الفترة الرومانية.

وفي العصر الحديث عرفت اللغة الأمازيغية اهتماما كبيرا من طرف الدارسين الفرنسيين مثل وستيفان غزال Gzell Steph ورينيه باسيت René Basset الذي قام بنشاط حثيث في المغرب العربي كمدرس وباحث من أجل إحياء فكرة لغة أو لغات بربرية إلى جانب اللغة الفرنسية لتمكنها وتدعمها لإضعاف اللغة العربية وسط موطنها وأهاليها، وبدأت مناهد الدراسات والإرساليات العلمية المتعددة تملأ الفراغ متواجدة ومتنامية بتواجد وتنامي السلطة الفرنسية بالجزائر[35] .

ويشير وليام شالر أن ما ساهم في محافظة سكان القبائل الجزائرية على أصالة لغتهم، هو اجتماع أسباب مختلفة أدت لهجرة جماعات قبلية لتستقر في مستعمرات بمناطق لم تكن مأهولة، ولكن مواقعهم المنيعة في الجبال-أو حتى في فيافي الصحراء- لم تكن لتغري الأجانب للإقامة معهم، وبهذه الطريقة احتفظت لغتهم بنقاوتها عبر الأجيال[36] .

حاولت فرنسا استكمال مشروعها الاستيطاني من خلال سياسة الإخضاع الكلي وذلك بهدم الشخصية الجزائرية من الوجود، ومحاربة اللسان الجزائري الناطق بالأمازيغية والعربية، ومحاربة العقيدة الإسلامية، ولم يكن ذلك فقط بفرض اللغة الفرنسية والديانة المسيحية فحسب، بل تعداها إلى زرع بذور الفتنة بين أفراد الشعب الواحد عن طريق محاربة كل عنصر بآخر، وتطبيق سياسة فرق تسد.

المطلب الثاني: القضاء في القبيلة خلال العهد الاستعماري.

في إطار تطبيق السياسة الاستعمارية الهادفة الى تفتيت المجتمع القبلي في الجزائر واضعاف ارتباطه ببعضه البعض أصدرت المكاتب العربية مجموعة من القرارات تخص استعمال اللغة الفرنسية في جميع العقود المبرمة في بلاد القبائل بداية من سنة 1906م،

وهذا بهدف تشتيت اللحمة الجزائرية والتمييز المقصود بين الجزائريين. إلا أن هذه المؤامرة لم تنجح حيث أن المحاكم القضائية الخمسة التي تولت إبراهيم العقود الفرنسية فشلت في مهمتها، فلم يتم تحرير سوى 50 عقدا باللغة الفرنسية طيلة 18 شهرا من حملة 2014 عقد ابرم أي ما يمثل نسبة 23% [37].

وهذا راجع إلى أن القبائل فضلوا تحرير عقودهم باللغة العربية، ورغم هذا الفشل إلا أن السلطات الاستعمارية أصدر نسبة 1910م مشروع مرسوم آخر يحل اللغة الفرنسية محل اللغة العربية لتحرير عقود القضاة الموثقين خلال مهلة لا تتعدى 5 سنوات[38] .

لكن رفضه المواطنون، إضافة إلى إصدار النائب العام في 31 جانفي 1911م منشورا ثالث للتطبيق إلا أن القضاة الموثقون امتنعوا عن الانصياع لذلك ولم يقوموا باستنساخ أنماط عقود غير مكيفة مع واقع الناس وعملوا على تعيين بعض "المتعلمين" للعمل في المحاكم التي يتعاملون معها مما ساهم في مضاعفة الأخطاء، ويقال أنه لم يتوفر سوى قاض واحد يجيد التحرير باللغة الفرنسية السليمة، إلا أن القبائل هجروا محكمته وفضلوا التوجه إلى قضاة آخرين أو إلى مساعديه الذين يحررون جميعا باللغة العربية[39] .

لقد ركزت السلطات الاستعمارية على الحيلولة دون انتشار التعريب في منطقة بلاد القبائل حسب "روبير أجيرون" بعد أن ظل القبائل خياري من تلك التجربة الرامية إلى حملهم على التفرنس، فكانوا إلى تاريخ 24 ماي 1927م يطالبون بعدم بذل أية محاولة، لمنع القضاة (المسلمين) من تحرير العقود باللغة العربية وحدها، ويبدو أن نتائج تلك التجربة دفعت المندوبين القبائل إلى التشكيك في كل قرار يخص شؤونهم[40] .ولا نجد كلمة واحدة تشير للدعوة إلى الأخذ بالثأر، أو الانتقام من القاتل أو أقاربه فهو لا يخرج عن أحكام الشريعة الإسلامية، رغم غياب سلطان عليها ينفذ الحكم[41] .

وقد عرض "شارل فيرو" في المجلة الافريقية سنة 1878م احدى النماذج عن سلطة القايد الذي كان يستعين في تسيير المقاطعة بشيوخ الدواوير، وكبراء المشاتي وبالقضاة،

ويستقبل القائد والقاضي الشكاوي في حدود صلاحياتهما إما في ديارهم، أو ينتقلان إلى السوق، فتحل المشاكل البسيطة وتأجل المعقدة، للقضايا العامة فتدرس من طرف المرابطين القيادة والشيوخ ، وقد استمرت الخدمات القضائية داخل الأسواق الأسبوعية في العهد الفرنسي إلى حوالي 1866م تاريخ إصدار نابوليون قرارا بمنعها[42] .وبهذه الطريقة حافظ المجتمع القبلي الجزائري على القضاء الإسلامي أمام السياسة القضائية الاستعمارية.

المطلب الثالث: استناد القبيلة على التعاليم الدينية.

عمد الاحتلال الفرنسي الى تدمير مقومات الهوية الجزائرية والشعور بأهميتها، وأحدث هزة نفسية عميقة للجزائريين، لتشكيكهم في أصولهم وزعزعة إيمانهم بوجودهم المتميز واقتلاعهم من منبتهم الثقافي الروحي، وكانت انطلاقته من اللغة العربية والدين الإسلامي[43] . لكن الشعب الجزائري أبدى مقاومة وتضحية كبيرتين، للمحافظة على مقوماته الوطنية وهويته الأصيلة والمتميزة عن غيرها فهو المتشبع بتاريخه العريق والموحد في معتقداته وكله إرادة لتأكيد وجوده والدفاع عن حقوقه، وكانت مقاومته هذه للعدو تتجلى أساسا في أشكال روحانية ايمانية، بحيث كان ارتباطه بأرضه وأصوله وهويته يجد مبعثه ومحفزاته من الدين الذي كان يعلو على جوهر المشاعر الوطنية[44] . داخل المحيط القبلي الذي يعيش فيه. كما كان المسجد مؤسسة تعليمية رائدة، ساهمت بفعالية في تعليم المجتمع وتربيته، وعمل على ترقية التعليم وتوريثه للأجيال اللاحقة، وقد تخرج في أحضانه كبار العلماء وعدد لا يحصى من الرواد المثقفين[45]

وبعد سقوط منطقة القبائل في 1857م قامت الزوايا والجمعيات الدينية بتوعية السكان في الريف وإثارة حماس روح الوطنية فيهم بالاستناد على التعاليم الدينية' وعمل الجنرال (لكراتيل Lacratelle) على إتلاف ثروات القبائل لتراجع المقاومات في الشمال، ما سهل للفرنسيين التوغل في الصحراء، لكن جهلها بطبيعة القبائل وطبوغرافيا

الصحراء، وحماسة القبائل في التزامهم بمبدأ المقاومة، جعلهم يقرون حتمية إرسال بعثات استكشافية لها، لكنها أثارت استنكارا من قبل الطوارق الذين تفطنوا لنوايا الاستعمار [46] .

وبعد زيارتي نابوليون الثالث بين 1860و 1865م انتهج سياسة استيعاب الأهالي مرحليا لترسيم مخططاته لاستدراج الجزائري واسقاطه في الاغتراب الثقافي للوصول في النهاية إلى اخفاق التقارب ما بين المجتمعين الأوروبي والمسلم كما عملت الكنيسة على جعل استعمار الجزائر وسيلة لمواصلة عمل "سانت أغسطين" بنشر المسيحية، او كما أطلق عليه "نشره الحضارة الغربية"، لكنها باءت بالفشل الذريع، وإن محاولة استيعاب الأندجينا أخلاقيا اصطدمت بعقيدته الراسخة حتى وإن كان في أسوأ الحالات [47] .

دافع (منيرفيل Menerville) عن فكرته القائلة بأن فرنسا تجد نفسها في مستعمراتها الجديدة أمام شعب لا يزال في طفولته مقارنة بعادات وتقاليد المجتمعات العصرية، شعب لم ينوي بلدنا تدميره مثلما كان يفعل الغزاة في العهود السابقة، وإنما بالعكس يريد المحافظة عليه وتعليمه حتى يذوب في مجتمعنا تدريجيا، إنها لوصاية عظيمة تمارسها فرنسا على هذا الشعب باسم الحضارة والإنسانية، أما التحرر والانفتاح فلهما وقتهما بعدما تنتهي التربية المدنية للسكان من التحضير لهما بالشكل الكافي [48] .

كما شهدت الجزائر التبشير الفردي لليسوعيين على يد الأب "كروزا" في قسنطينة وعدة قبائل، ونشاط فرقة "الترابيست" الدينية التي حاولت استمالة السكان في الّأرياف، عن طريق الأعمال الخيرية ونشاطها في فلاحة الأرض بسطاوالي، وكان تأثير الأب "ريجيس" كبيرا حيث قال عن نفسه:"مع البدو قد أكون بدويا"، لكن على الرغم من هذا النشاط الذي وصل في بعض الأحيان إلى درجة التعميد إلا أنهم لم يثبتوا أو يبقوا على نصرانيتهم فأغلبهم يفرون ويعودون إلى قبائلهم وخيامهم [49] .

إن سياسة التنصير الفردي أثبتت استحالة تحقيقها لذلك تم الاعتماد على التنصير الجماعي، وهذا بسبب الروابط التي تشد الفرد بمجتمعه وقريته وقبيلته، والتي تجعله مبعدا

عنها إن هو ارتد عن دينه، وهو ما أكده الأب "شاتلان" مع سكان بلاد القبائل الذين لم يكونوا ليغيروا عقيدتهم إلا بعد مشقة كبيرة[50]، في الوقت الذي أيد لافيجري فكرة الحفاظ على اليتامى وفضل بقاءهم بالملاجئ، ولا يعودوا إلى قبائلهم ليصبحوا مسلمين أو متعصبين دينيين يعملون على إيقاد الثورة من حين لآخر ضدهم[51]. مثل ثورة المقراني في بلاد القبائل التي كان أحد أهم أسبابها هو الخطر الذي كان يهدد الدين الإسلامي، والذي اعتبروه استفزاز لمشاعرهم، ما دفع السكان إلى الالتفاف حول الطريقة الرحمانية في ثورة 1871م التي اتخذت طابعا دينيا وطنيا[52].

يقول أبو القاسم سعد الله أن:"... الوثائق الفرنسية تشهد أن الأعراش كانت تبني المساجد من تلقاء نفسها، رغم الحرمان والفقر والحروب، ومصادرة الأراضي، ويذكر تقرير يرجع إلى سنتي 1849و1849م أن ثلاث مساجد قد بنيت في البليدة، وستة في أم السنام " الأصنام"، واثنان في معسكر وواحد في كل من سور الغزلان وسكيكدة وقالمة وسطيف والقبائل، وليس من ميزانية الادارة الاستعمارية"[53].

المطلب الرابع: التعليم العربي في القبيلة خلال العهد الاستعماري.

لم يقتصر الوازع القبلي على تحريك عالمنا المادي والتحكم في روابطنا الاجتماعية فحسب، بل شمل مجالنا الفكري والثقافي وحدد منهجنا السلوكي وبناءنا لرؤانا وأفكارنا، وأطَّر مفهومنا للحياة[54]. واتفقت أغلب التقارير الفرنسية أن التعليم في الجزائر وأريافها كان منتشرا مع بداية الدخول الفرنسي، وهو ما شكل خطرًا على بقاء فرنسا، حيث أن الثقافة الجزائرية كانت مغايرة لحضارتها الغربية، فعملت على إزالة المعالم الثقافية الجزائرية تمهيدا لإدماج الشعب، فحاربت اللغة العربية بمنع التعليم بها، وصادرت المساجد والمدارس والزوايا[55].

كان ضباط المكاتب العربية يرون أن المساجد والزوايا تُخَرِّجُ عناصر متعصبة معادية للسلطة الفرنسية، وظهر العداء الشديد لهذه المؤسسات بعد اكتشاف دورها السياسي

والثقافي والعلاجي والتضامني مع الأهالي[56] .لذا فإن المكاتب العربية تعتبر من الوسائل التي اعتمد عليها الاستعمار الفرنسي للقضاء على اللغة العربية ومحاربة انتشارها ومعاداة فكرة تعليم الأهالي المتوزعين داخل الفضاءات القبلية للنظام المجتمعي الجزائري تحت ذريعة أن مدارس الأهالي ما هي إلا مجرد مَعَامِل لتعصب الأهالي " La boration du fantisme " وجعلها حجة لإغلاق المدارس الخاصة بالأهالي بداية من سنة 1860م[57] ، والتي كانت منتشرة في المدن والقرى والأرياف وتعتمد عليها أغلب القبائل لضمان مستوى تعليمي مقبول خاصة للأطفال.

كان تأثر الأرياف بالسياسة التعليمية للاستعمار الفرنسي أقل، فقد تمكنت من المحافظة بصعوبة على هيكلتها وعلى مثقفيها على عكس الوسط الحضري الذي وجد نفسه في مواجهة صعبة للحفاظ على هويته لأنه أرغم على العيش في ظروف الحرمان[58]. لذا فإن الجزائريين وجدوا أنفسهم بحكم تمسكهم بهويتهم الوطنية بما تحويه من قيم وثقافة مجبرين على مقاطعة الثقافة الفرنسية في جميع مظاهرها والمحافظة على الثقافة العربية الإسلامية، حتى في أيام الثورات، فالأمير عبد القادر لم تنسيه حروبه ضد الفرنسيين القيام بواجب التعليم حيث يقول[59]:" واجبي كحاكم مسلم أن أؤيد وأبعث العلوم والدين، لذلك فتحت المدارس في المدن، وبين القبائل، وفي هذه المدارس كان الأطفال يتعلمون الصلوات، ويحفظون تعاليم القرآن وفروضه، ويعرفون جيدا القراءة والكتابة" [60].

وإذا كان الفرنسيون ملكوا الأرض وألحقوها بفرنسا فإنهم لم يملكوا العقول التي ظلت تمتلئ حقدا وتبحث عن فرصة للانتقام، فانتصارهم العسكري لا يعني إخضاع النفوس، وفشلوا في تحويل شعور الجزائريين إلى فرنسي مسيحي يكون مساويا لهويتهم وثقافتهم[61].

وهو ما بدى من خلال شدة المقاومة التي أبداها الجزائريون في الفترة الأولى التي حسب "Turin" تزعمتها الزوايا من خلال حشد الجزائريين حولها وساهمت في تعلمهم وتأليبهم ضد المدارس الفرنسية كي يرفضوا ارتيادها، ويجدر الذكر أن المدارس التي أنشأها

الفرنسيون عرفت عند الأهالي بمدارس الكافر وسموها مدارس الشيطان وبأسماء لعينة، فازداد الجزائريون صمودا وتهافتا كبير على ثقافتهم العربية الإسلامية، وهناك توافق بين " Turin " و " Colonna " حول رفض الجزائريين للثقافة الفرنسية، حيث يقول " Colonna " أن عدد الجزائريين الذين التحقوا بالمدارس الفرنسية كان قليلا جدا [62]، وقد لوحظ أن المناطق التي تكثر فيها الزوايا والمؤسسات التعليمية الحرة يقل فيها الإقبال على التعليم الفرنسي، ولم تقتصر المقاومة على التعليم فقط، بقدر ما أنها اتخذت أشكالا مختلفة، فمنهم من عبر عنها بالسلاح الذي لم يضعه حتى استشهاده، ومنهم من اتخذ المقاومة أو ما يعرف بـ: "المقاومة السلبية" خاصة في الأرياف حيث قاطع السكان ثقافة فرنسا واعتبروها كفرًا بسيئاتها وحسناتها دون تراجع في موقفهم[63].

وكان التعليم الأهلي باللغة العربية مكفولا في القبائل التي عملت على تشجيعه قصد تعليم أبنائها القراءة والكتابة، ما أثار شكوك المكاتب العربية نحو هذا النوع من التعليم نظرًا للموقف العدائي للطلبة تجاه الإدارة الاستعمارية لأن كل الطلبة –تقريبا– المكلفين في القبائل بتعليم التلاميذ متعصبون وجهلة، ففي أوساط هؤلاء كانت تتطور الأفكار المناهضة لنا... إنهم يقودون مقاومة ضدنا أكثر من وظيفة تعلم، فينبغي مراقبتهم"[64].

الخاتمة:

في الأخير نستخلص ما يلي:

– إن تطور العقل الجزائري كان على مسلمة الدولة القبيلة من خلال موروث التجارب التاريخية، وكانت القبيلة هي الخلية الاجتماعية والسياسية والاقتصادية ذات الفعالية القوية في مصير البلاد، فالمجتمع الجزائري لم تكن تتحكم فيه أي تنظيمات أخرى خارج إطار القبيلة والزاوية، ما جعله منظما ومتماسكا وما زاد من تماسكه هو التمازج الاجتماعي بين العرب والأمازيغ الذي منحه خصوصية إثنوغرافية.

–لقد أربكت الثورات الشعبية التي قادها شيوخ القبائل والزوايا السلطة الاستعمارية في العشرين سنة الأولى من الاحتلال، ولم يجد جنرالات فرنسا أي طريقة مثلى لإحكام

قبضتهم على الجزائر، لهذا لجؤوا إلى عزل القبائل عن زعمائهم وقضاتهم الذين يحضون بمكانة مرموقة في أوساط القبائل.

- بدأت فرنسا تشتيت بنية العشائر والقبائل في الأرياف بانتزاع الأراضي، وانشاء نظام العائلة، بعد إدراكها مدى تأثير النظام القبلي بقيمه الروحية في إشعال فتيل المقاومة الشعبية، وتهديدها للوجود الاستعماري في الجزائر، فحرصت على تأكيد حضورها الدائم وسط التجمعات القبلية، من خلال المكاتب العربية بهدف التجسس وإزالة أي فكرة للتمرد والمقاومة ضدها.

- حافظ سكان القبائل الجزائرية على أصالة لغتهم الأمازيغية، فمواقعهم المنيعة في الجبال وفي فيافي الصحراء سمحت لهم بالمحافظة على نقاوة لغتهم عبر الأجيال، ورغم ما بذلته فرنسا من محاولات لاستكمال مشروعها الاستيطاني من خلال سياسة الإخضاع الكلي بهدم مقومات الشخصية الجزائرية، ومحاربة اللسان الجزائري الناطق بالأمازيغية والعربية، ومحاربة العقيدة الإسلامية، وسط المجتمع القبلي في الأرياف إلا أنها فشلت بسبب طبيعته المنغلقة.

- حافظت القبيلة من خلال شيوخ الدواوير، وكبراء المشاتي والقضاة، على العمل بالقضاء الإسلامي رافضة بذلك السياسة القضائية الاستعمارية، فكان القائد والقضاة والمرابطون يتكفلون بحل القضايا التي ترفع لهم من السكان وفقا للشريعة الإسلامية.

- حاول الاستعمار الفرنسي استمالة سكان القبائل في الأرياف، للدخول في المسيحية، ورغم وصوله مرحلة التعميد، إلا أن الأفراد لم يثبتوا على نصرانيتهم، فأغلبهم يفرون ويعودون إلى قبائلهم، نتيجة الايمان الروحي الذي يربط الفرد بأرضه وأصوله وهويته، فالدين الإسلامي هو المبعث والمحفز للمقاومة والذي كان يعلو على جوهر المشاعر الوطنية، كيف لا والوثائق الفرنسية تشهد أن الأعراش كانت تبني المساجد من تلقاء نفسها.

- كان التعليم الأهلي باللغة العربية مكفولا في القبائل التي عملت على تشجيعه، ما خلق موقفا عدائيا لطلبة العلم تجاه الإدارة الاستعمارية التي ووصفته بالتعصب، نظرا لتطور الأفكار المناهضة للمستعمر، لذا كان تأثر الأرياف بالسياسة التعليمية الاستعمارية أقل، فقد تمكنت القبيلة من المحافظة بصعوبة على هيكلتها ورموزها الثقافية على عكس الوسط الحضري الذي وجد نفسه في مواجهة صعبة للحفاظ على هويته.

الهوامش:

[1] الدراجي بوزيان، القبائل الأمازيغية أدوارها ومواطنها أعيانها، دار الكتاب العربي، الجزائر، ج1، 2007، ص 40.

[2] سليمان عشراتي، الشخصية الجزائرية الأرضية التاريخية والمحددات الحضارية، ديوان المطبوعات الجامعية، 2007، ص197.

[3] سعد الله أبو القاسم، الحركة الوطنية الجزائرية (1860-1900)، ج1، عالم المعرفة، الجزائر، ط3، 2009، ص 112.

[4] وليام شالر، مذكرات وليام شالر قنصل أمريكا في الجزائر (1816-1824)، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، تعريب وتعليق وتقديم إسماعيل العربي، 1982، ص 108.

[5] علي خنفوف، السلطة في الأرياف الشمالية لبايلك الشرق الجزائري نهاية العهد العثماني و بداية العهد الفرنسي، منشورات الأنيس، الجزائر، 2012، ص ص 46-47.

[6] Favret Saada Jeanne, “La segmentarité au Maghreb”, in L’homme, 1966, tome 6w°2 , p107 ,(pp105-111), http://www.persee.fr/web/revuse/home/prescript/article/ hom).

[7] سيدي عبد القادر سباعي، الاستعمار الفرنسي والنظام القبلي في الجزائر بين التفكيك والتكييف، مجلة دراسات، الجزائر، عدد 7، جوان 2015، ص 193.

[8] وليام شالر، المرجع السابق، ص 117.

[9] سعد الله أبو القاسم، الحركة الوطنية الجزائرية (1860-1900)، المرجع السابق، ص 112.

[10] وليام شالر، المرجع السابق، ص 122.

[11] سعد الله أبو القاسم، الحركة الوطنية الجزائرية (1860-1900)، المرجع السابق، ص 112.

[12] نفسه، ص ص 112-113.

[13] جانت ميرانت، كراسات، ص10: نقلا عن سعد الله أبو القاسم، الحركة الوطنية الجزائرية (1860-1900)، المرجع السابق، ص 113.

[14] وليام شالر، المرجع السابق، ص 122.

[15] نفسه، ص 123-124.

[16] أسعد طاعة، البنية الاجتماعية والاقتصادية للريف الجزائري 1830-1954م، مجلة المصادر، الجزائر، العدد 17، السداسي الأول 2008، ص 63.

[17] الجيلالي صاري ومحفوظ قداش: الجزائر في التاريخ (المقاومة السياسية 1900-1954 " الطريق الإصلاحي والطريق الثوري")، ترجمة عبد القادر بن حراث، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1987.

[18] سليمان عشراتي، المرجع السابق، ص 233.

[19] علي خنفوف، المرجع السابق، ص 61.

[20] نفسه، ص 62.

[21] الصادق مزهود، تاريخ القضاء في الجزائر من العهد البربري إلى حرب التحرير الوطني، وزارة الثقافة، دار مداد يونيفارسيتي براس، الجزائر، ط3، 2013، ص ص 240-241.

[22] أبو القاسم سعد الله: أفكار جامحة، المؤسسة الوطنية للكتاب، 1988، ص 66.

[23] صالح فركوس، المكاتب العربية والاحتلال الفرنسي للجزائر في ضوء شرق البلاد 1844-1871، القافلة للنشر والتوزيع، الجزائر، ط1، 2013، ص20.

[24] سليمان عشراتي، المرجع السابق، ص 269

[25] نفسه، ص ص 221-222.

[26] نفسه، ص 232.

[27] الدراجي بوزيان، المرجع السابق، ص 37.

[28] نفسه، ص 40.

[29] وليام شالر، المرجع السابق، ص 117-122.

[30] الدراجي بوزيان، المرجع السابق، ص 41.

[31] للتوسع أكثر العودة إلى:

Bousquet G. H: les Berbères « que sais –je », Presses Universitaires de France Edition revue, 1974.

[32] الدراجي بوزيان، المرجع السابق، ص ص 58-59.

[33] وليام شالر، المرجع السابق، ص 123-124.

[34] المرجع السابق، ص ص 58-59.

[35]- Ch.Ageron, politiques coloniales au Maghreb, PUF, Paris , 1972, pp 126-127.

[36] وليام شالر، المرجع السابق، ص 122.

[37] شارل روبير أجيرون، الجزائريون المسلمون وفرنسا 1871-1919، ج2، دار الرائد للكتاب، الجزائر،2007، ص ص 446-448.

[38] سعيد بوخاروش، المرجع السابق، ص 118.

[39] شارل روبير أجيرون، المرجع السابق، ص 446.

[40] نفسه، ص 446.

[41] علي خنفوف ، المرجع السابق، ص 75.

[42] نفسه، ص 64.

[43] سعيد بوخاروش، الاستعمار الفرنسي وسياسة الفرنسة في الجزائر، وزارة الثقافة، دار تفتيلت للنشر، 2013، ص ص 30-31.

[44] جمال خرشي، الاستعمار وسياسة الاستيعاب في الجزائر 1830-1962، ترجمة عبد السلام عزيزي، دار القصبة للنشر، الجزائر، 2009، ص 67.

[45] عبد الجلي قريان، التعليم في تلمسان في العهد الزياني، جسور للنشر والتوزيع، الجزائر، ط1، 2011، ص 4.

[46] جمال خرشي، االمرجع السابق، ص 192-193.

[47] نفسه، ص 199- 200.

[48] M. P de Menerville , Dictionnaire de l' législation algérienne (préface), premier volume (1830-1860), deuxième Edition, Rtblies au bulletin OFFICIEL des actes du gouvernement ,1867. Voir https://gallica.bnf.fr/ark:/12148/bpt6k55 163968/f9.item.texteImage.

[49] خديجة بقطاش، الحركة التبشيرية الفرنسية في الجزائر 1830-1871، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، 2009، ص ص 64-80.

[50] نفسه، ص 161.

[51] نفسه، ص ص 117-118.

[52] نفسه، ص ص 152-153.

[53] سعد الله أبو القاسم، تاريخ الجزائر الثقافي، ج4، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1998، ص 387.

[54] سليمان عشراتي، المرجع السابق، ص 226.

[55] عبد الله مقلاتي، المرجع في تاريخ المغرب الحديث والمعاصر (الجزائر، تونس، المغرب، ليبيا)، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2014، ص 113.

[56] سعيد بوخاروش، المرجع السابق، ص116.

[57] A. Burdeau, L'Algérie en 1891, Librairie Hachette Et Cie, Paris, 1892, p p 202-205.

[58] الجيلالي صاري ومحفوظ قداش، الجزائر صمود ومقاومات (1830-1962)، ترجمة أوذانية خليل، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2012، ص 264.

[59] سفيان لوصيف، المقاومة الثقافية للاستعمار الفرنسي في الجزائر المظاهر والانعكاس، المجلة التاريخية الجزائرية، الجزائر، عدد3، جوان 2017، ص 152.

[60] شارل هنري تشرشل، حياة الأمير عبد القادر، ترجمة أبو القاسم سعد الله، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ط2، 1982، ص152.

[61] سفيان لوصيف، المرجع السابق، ص 153.

[62] نفسه، ص 153.

[63] الجمعي خمري، حركة الشبان الجزائريين والتونسيين (1900-1930) دراسة تاريخية وسياسية ومقارنة، أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، إشراف عبد الكريم بوصفصاف، جامعة قسنطينة (2002-2003)، ص 179.

[64] محمد الأزرق، الكتاتيب القرآنية في الجزائر ودورها في المحافظة على وحدة الأمة وأصالتها، دار الغرب للنشر والتوزيع، الجزائر، 2002، ص 271.